الفصل السادس
أسس الرعاية ومناهج البحث فيها

مقدمة

مع تقدم علوم الشيخوخة غدت رعاية كبار السن علما له نظرياته، وأسساً نفسية تقوم عليها، ومبادئ تربوية توجهها، ومناهج تبحث فيها. فالرعاية عملية تربوية معقدة لها جوانب طبية ونفسية واجتماعية عديدة، بحثها الباحثون في الطب وعلم النفس والاجتماع والتربية، وتوصلوا إلى المبادئ والقواعد التي تقوم عليها.

واتبع الباحثون في دراسة رعاية كبار السن المناهج نفسها التي يتبعها الباحثون في دراسة التنشئة الاجتماعية، وبينوا مزايا وعيوب كل منهج، واستفادوا من نتائج هذه الدراسات في تحسين برامج رعاية كبار السن، وعلاج جوانب القصور فيها بهدف تحقيق رعاية أفضل لهذه الفئة من الناس.

وكان من النتائج التي اتفقت عليها دراسات عديدة تقلص دور الجد والجدة بعد انحسار الأسرة الممتدة، وانتشار الأسرة النواة، واختلال عمليات التواصل بين الأسرة الأصلية (أسرة الوالدين أو العائلة) وأسر الفروع (أسر الأبناء) مما أدى إلى حرمان الكثيرين من كبار السن من ممارسة دور الجد والجدة، أو ممارسته بطريقة شكلية أو رسمية، فأضفنا إلى هذا الفصل بحثا عن دور الجد والجدة لتوضيح واجبات الجد والجدة نحو الأحفاد، وحقوق الجد والجدة على الأحفاد. فالجد والد أو في حكم الوالد، والجدة أم أو في حكم الأم.

ونتناول في هذا الفصل الأسس التي تقوم عليها رعاية كبار السن ومناهج البحث فيها، ثم دور الجد والجدة في الأسرة.

أسس رعاية كبار السن

لا تقل رعاية كبار السن أهمية ولا صعوبة عن رعاية الأطفال وتنشئتهم، ولا يكفي فيها حب الوالدين والعطف عليهما، ولا يكفي فيها المعرفة الدارجة بالرعاية التي أضحت اليوم علوماً وفنونا ومجالات للتخصص العلمي والمهني. فرعاية كبار السن في القرن الحادي والعشرين عملية تربوية تقوم على أسس علمية، ولها علومها وفنونها ومهاراتها التي يتخصص فيها الأطباء والأطباء النفسيون والممرضون والممرضات والاختصاصيون النفسيون والاجتماعيون، وغيرهم من المتخصصين في علوم الشيخوخة ورعاية كبار السن.

وتنطلق رعاية كبار السن الجيدة Elder super caregiving من عدة مبادئ أو أسس تربوية نلخصها في الآتي:

المبدأ الأول: الرعاية حق لكبير السن:

فرعاية الأبناء للآباء ليست تفضلاً منهم، ولا عطفاً من الأهل، ولا منحة من المجتمع، وإنما هي رد الجميل لكبير السن، واعتراف بفضله، لأنه هو الذي أنجب الأبناء، وأعطى الأهل، وساهم في بناء المجتمع، ومن حقه أن يسترد دينه، ويُوف حقه في الكبر.

ولن يستطيع الابن (أو الابنة) أن يوفىَ والديه حقوقهما عليه مهما عمل، لأنها حقوق عظيمة لا يمكن ردها بعينها ولا بمثلها. فقد قال رسول الله ﷺ «**لا يجزى ولد والده إلا أن يجده مملوكا فيشتريه ويعتقه**» (رواه مسلم) وعندما جاءه ﷺ رجل يحمل أمه ويطوف بها حول الكعبة وسأله: «**هل أديت حقها؟**» قال ﷺ: «**لا ولا بزفرة واحدة**» (رواه البخاري) أي ولا آلام طلقة واحدة من طلقات الولادة.

وكان رجل من أهل اليمن يحمل أمه على كتفيه، وقد تصبب عرقه، واضطرب نفسه وهو يطوف بها لأنها مقعدة، ورأى ابن عمر –رضي الله

عنهما- عند المقام، فقال: "السلام عليك يا ابن عمر. أنا الابن وهذه والدتي، أترى أني كافأتها؟. قال ابن عمر: والذي نفسي بيده ولا بطلقة واحدة من طلق الولادة، ولكنك أحسنت والله يثيبك على القليل كثيراً". (كشك، ١٤١٧: ٩٤).

المبدأ الثاني: رعاية كبير السن واجب على الأبناء فالأهل ثم المجتمع:

فالرعاية واجب على الأبناء أولاً، لأن الوالدين أصل والأبناء فروع، والأصل والفروع كالشيء الواحد أو كالجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو سهرت عليه باقي الأعضاء. لذا أجمع علماء المسلمين على وجوب النفقة للوالدين اللذين لا كسب ولا مال لهما على الأبناء، سواء كان الوالدان مسلمين أو غير مسلمين، وسواء كان الفرع ذكراً أو أنثى أي ولداً أو بنتاً. (الموسوعة الفقهية الكويتية ج٦ ص٢٥٩).

وليس هذا حق الوالدين على الأبناء في المجتمعات الإسلامية فحسب، بل نصت عليه قوانين الأحوال الشخصية في العديد من المجتمعات غير الإسلامية. ففي الصين مثلاً نص قانون الأسرة سنة ١٩٨٠م على رعاية الأبناء لآبائهم وأجدادهم في الكبر، وحدد عقوبة الحبس لمدة سنتين لكل ابن (أو ابنة) يهمل في رعاية والديه أو يسيء إليهما. (Meredith & Abbott,1995).

أما مسئولية الأهل وهم ذوو القربى والأرحام، فتأتي بعد الأبناء وفق درجة القرابة في رعاية كبير السن، لأنهم أقرب الناس إليه، فقد قال الله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأنفال:٧٥].

ثم تأتي مسئولية المجتمع في مساندة الأبناء والأهل في رعاية كبير السن وتوفير المؤسسات المتخصصة في الرعاية الصحية والنفسية والاجتماعية والروحية، وتيسير سبل الحصول على هذه الرعاية. فمسئولية المجتمع في رعاية كبار السن لا تقل أهمية عن مسئوليته في رعاية الفئات الأخرى،

لاسيما في المجتمعات الإسلامية التي تقوم على توقير كبير السن. فقد قال رسول الله ﷺ: «**إن من إجلال الله إكرام ذي الشيبة المسلم**» (رواه البخاري). وعندما أبطأ القوم عن أن يوسعوا لشيخ كبير، جاء يريد رسول الله ﷺ قال ﷺ: «**ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا**» (رواه البخاري).

وجاء في كتاب الخراج لأبي يوسف أن عمر بن الخطاب –رضي الله عنه– مر بباب قوم، وعليه سائل كبير في السن ضرير، فربت على عضده من خلفه، وسأله من أي أهل الكتاب أنت؟.

قال: يهودي.

قال: ما ألجأك إلى ما أرى؟.

قال: الجزية والحاجة والسن.

فأخذه عمر إلى منزله وأعطاه، ثم كتب إلى خازن بيت المال: انظر هذا وضرباءه، فوالله ما أنصفناه إذا أكلنا شبيبته، ثم نخذله عند الهرم. (عن محمد،١٩٩٦).

المبدأ الثالث: تقديم الرعاية لكبير السن وهو يعيش في الأسرة:

فالأسرة هي مقر كبير السن ومستودع أمنه وطمأنينته، وفيها خصوصياته وذكرياته وتاريخه، فلا يُبعد عنها إلا عند الضرورة القصوى. فسعادة كبير السن في وجوده في أسرته الأصلية، وشقاؤه في الابتعاد عنها، فهي عشه الذي احتواه، ومقر أمنه ورضاه، فإذا نقل منها إلى أسرة الابن أو الابنة أو إلى دار المسنين كان كالسمكة التي خرجت من الماء، يموت أو يكاد يموت لأنه حرم الحياة، وفقد ماضيه، وترك الأهل والجيران والأصدقاء.

المبدأ الرابع: تقديم الرعاية لكبير السن وفق حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية

ومن الخطأ أن نختزل حاجات كبير السن في المأوى والمأكل والملبس والعلاج، ونهمل حاجاته النفسية والاجتماعية والروحية، لأن كبير السن لا يعيش لكي نرعاه، وإنما نرعاه لكي يعيش بقية حياته في أمن وأمان وسعادة، يعبد الله ويعمر الأرض.

وتقوم رعاية كبير السن على فهم حاجاته وإشباعها بالقدر المناسب وفي الوقت المناسب. ومن أهم هذه الحاجات: أن يشعر بالأمن في علاقته بأسرته، وأن يُحِب ويُحَب من الأبناء والأهل والأصدقاء، وأن يشعر بالكفاءة والجدارة في ممارسة أدواره الاجتماعية، وأن يجد الاستحسان والتقدير من الناس، وأن يتقرب إلى الله في العبادات والمعاملات، وأن يختم حياته بالعمل الصالح.

المبدأ الخامس: تشجيع كبير السن على العمل وممارسة أدواره الاجتماعية:

فكثير من كبار السن يدخلون مرحلة الكبر وهم بصحة جيدة، وقادرون على العمل لفترات طويلة بعد المعاش، وتدفعهم الحاجة للإنجاز إلى مواصلة العمل بأجر أو دون أجر، أو ممارسة الهوايات. فالنشاط والحركة وتحمل المسئوليات في الأسرة والمجتمع تجعل لحياة كبير السن معنى وقيمة، وتشبع له حاجات نفسية واجتماعية وروحية عديدة، وتنمي صحته النفسية، وتحميه من الأمراض والشيخوخة المبكرة. فالعمل حق لكبير السن وحرمانه منه ظلم له، لاسيما في المجتمعات الإسلامية التي فيها العمل عبادة طوال الحياة. فقد قال رسول الله ﷺ «**إذا قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن يغرسها فليغرسها**» (رواه البخاري) وهذا كناية عن مسئولية المسلم في مواصلة العمل الذي يقدر عليه مهما كان سنه. فالتقاعد أو المعاش لا يعني البطالة والانصراف عن العمل بالكلية، بل يعني تغيير النشاط من العمل الحكومي إلى أعمال أخرى مفيدة.

المبدأ السادس: رعاية كبار السن في المجتمعات الإسلامية عبادة لله سبحانه وتعالى:

فقد ربط الإسلام بين عبادة الله والإحسان إلى الوالدين، وحمايتهما من كل ما يؤذيهما، أو يسيء إليهما. فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [الإسراء]، وقال تعالى أيضاً: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة:٨٣]. وسأل عبد الله بن مسعود النبي ﷺ أي العمل أحب إلى الله تعالى؟ قال ﷺ: «**الصلاة على وقتها**» . قلت ثم أي؟ قال ﷺ: «**بر الوالدين**». قلت: ثم أي؟ قال ﷺ: «**الجهاد في سبيل الله**» (متفق عليه).

والمقصود ببر الوالدين الإحسان إليهما ورعايتهما وحمايتهما وخدمتهما في المرض والعجز، ابتغاء مرضاة الله. وهذا يعني أن رعاية كبار السن في المجتمعات الإسلامية مسئولية دينية أكثر منها مسئولية اجتماعية أو شخصية، ويأثم كل مسلم يهمل في رعاية والديه أو يسيء إليهما.

مناهج البحث في الرعاية

يهدف البحث في رعاية كبار السن إلى الوقوف على جهود الأبناء في رعاية الآباء، وما تحققه هذه الجهود لكبير السن من حياة إنسانية كريمة، يشعر فيها بالأمن والأمان والاستقرار، ويجد فيها الإشباع الكريم لحاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية، ويدرك فيها الحماية من الجحود والعقوق والأذى.

ويستخدم الباحثون في أبحاثهم ثلاثة مناهج رئيسة، نلخصها في الآتي:

أ-منهج سؤال الأبناء:

يقوم هذا المنهج على أساس أن الأبناء هم الذين يرعون آباءهم، وهم القادرون على الإخبار عنها، فاتجه الباحثون إلى سؤالهم عن معاملتهم

لآبائهم، فسألوا الابن أو الابنة عن "كيف تعامل أبيك وأمك؟. وماذا تقدم لهما من رعاية؟. ثم يربطون بين ما يقوله الابن والابنة عن المعاملة والرعاية، وما يشعر به والداهما من بر ورضا، وأمن وأمان في الأسرة والمجتمع.

واستخدم الباحثون في قياس هذه المعاملة استبانات لجمع معلومات من الأبناء في مجالات الرعاية الآتية:

١- مساندة الوالدين في السراء والضراء من خلال التواصل العقلي والوجداني معهما.

٢- تشجيع الوالدين على ممارسة أدوارهما الاجتماعية في الأسرة والمجتمع.

٣- مساعدة الوالدين في إشباع حاجاتهما المعيشية والجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية.

٤- حماية الوالدين من الأذى النفسي والجسمي والاجتماعي.

٥- خدمة الوالدين في المرض والعجز.

وتوصل الباحثون من دراساتهم بهذا المنهج إلى أن الأبناء الذين يبرون والديهم، ويحرصون على رعايتهما ومساندتهما وتشجيعهما ومساعدتهما والتواصل معهما وحمايتهما وخدمتهما، يسهمون في إسعادهما في الكبر، ويرفعون من روحهما المعنوية، التي تُقوِّي أجهزة المناعة عندهما، وتجعل شيخوختهما طبيعية، وتحميهما من أمراضها واضطراباتها. أما الأبناء الذين يهملون في رعاية والديهم، ولا يبرونهما ويقطعونهما، وينشغلون عنهما فإنهم يَعُقُّونهما ويحرمونهما من الأمن والأمان، ويسهمون في تثبيط مناعتهما النفسية والجسمية، ويسرعون بهما إلى الشيخوخة الثانوية بأمراضها واضطراباتها، ويجعلون مرحلة كبر السن بالنسبة لهما مرحلة تعاسة وشقاء.

عيوب المنهج: تتلخص أهم عيوب هذا المنهج في الآتي:

١- عدم دقة بعض الأبناء في الإجابة عن أسئلة الباحثين، وإعطاؤهم معلومات في الاتجاه المقبول عن المعاملة، ويظهرون أنفسهم بارين بوالديهم وهم غير بارين بهما.

٢- اختلاف نظرة الأبناء عن نظرة الآباء إلى المعاملة، فقد يعتقد بعض الأبناء أنهم يعاملون آباءهم معاملة حسنة، بينما يعتقد الآباء أن هذه المعاملة سيئة، أو دون المستوى الذي يريدونه، ويتأثر الآباء بمعاملة الأبناء كما يدركونها هم وليس كما يقوم بها الأبناء، مما أدى إلى ظهور المنهج الثاني في البحث.

ب-منهج سؤال الآباء:

ويقوم المنهج الثاني على أساس أن العبرة في رعاية كبار السن في كيف يدرك كبير السن معاملة أبنائه له، وليس كيف يعامل الأبناء كبير السن، فاتجه الباحثون إلى سؤال الآباء عن إدراكهم لمعاملة أبنائهم لهم، حيث يسأل الباحث الأب والأم عما يجدانه في رعاية أبنائهما من اهتمام بهما، واحترام لهما، وحرص عليهما، وفهم لحاجاتهما، ثم يربط بين إدراك الوالدين لمعاملة الأبناء، وصحتهما النفسية والجسمية، وتوافقهما النفسي والاجتماعي.

واستخدم الباحثون في قياس إدراك الآباء لمعاملة الأبناء المقابلة والاستبانة. ففي المقابلة يسأل الباحث الوالد (أو الوالدة) عن معاملة الأبناء، وفي الاستبانة يطلب منه الإجابة عن أسئلة الاستبانة وفق ما يدركه هو في معاملة الأبناء له في المجالات نفسها التي يبحثها المنهج الأول وهي:

١- مساندة الأبناء لهما في السراء والضراء من خلال التواصل العقلي والوجداني معهما.

٢- تشجيع الأبناء لهما على ممارسة أدوارهما الاجتماعية في الأسرة والمجتمع.

٣- مساعدة الأبناء لهما في إشباع حاجاتهما المعيشية والاجتماعية والنفسية والروحية.

٤- حماية الأبناء لهما من الإساءة والإهمال في رعايتهما.

٥- خدمة الأبناء لهما في المرض والعجز عن قضاء الحاجات الأساسية.

وتوصل الباحثون في دراساتهم بهذا المنهج إلى النتائج نفسها التي توصلوا إليها من المنهج الأول، حيث وجدوا أن الآباء الذين أدركوا بر أبنائهم ومساندتهم وتشجعيهم وحمايتهم وخدمتهم لهم كانوا راضين عن أبنائهم وعن أنفسهم، وشعروا بالأمن والأمان وكانت شيخوختهم عادية.

أما الآباء الذين أدركوا عقوق أبنائهم، وإهمالهم لهم في مرحلة الكبر، فكانوا تعساء بهذا العقوق، وشعروا بالحرمان والظلم والإحباط، وتعرضوا، للشيخوخة المبكرة، وكانوا يعانون من أمراض جسمية واضطرابات نفسية ولهم مشكلات اجتماعية كثيرة.

عيوب المنهج: يواجه هذا المنهج الصعوبات نفسها التي في المنهج الأول من حيث عدم دقة إدراك الوالدين للمعاملة، وتسرعهما في الحكم عليها، وتأثر إدراكهما لمعاملة الأبناء لهما بعوامل ذاتية في شخصية كل من الأب والأم وقيمهما وميولهما، وفهمهما للرعاية، وتوقعاتهما منها، وعلاقتهما بأبنائهما، وفهمهما لظروف الأبناء.

ومع هذا فإن سؤال الآباء أفضل من سؤال الأبناء لأن العبرة في الرعاية -كما أشرنا من قبل- ما يدركه كبير السن في معاملة أبنائه له، وتواصلهم معه، وليس ما يقوله الأبناء عن المعاملة.

جـ-منهج سؤال الأبناء والآباء:

يقوم هذا المنهج على جمع معلومات عن رعاية الأبناء لوالديهم من الأبناء والآباء معاً، فيسأل الباحث الابن والابنة عن المعاملة، ويسأل الأم

والأب عن إدراكهما لهذه المعاملة، فجمع هذا المنهج بين محاسن "سؤال الأبناء" "وسؤال الآباء" وتخلص من عيوبهما وساعد على عمل مقارنات بين ما يعمله الأبناء من أجل والديهم –من وجهة نظرهم- وما يدركه الوالدان في هذه المعاملة، وساعد أيضا في التعرف على جوانب الاتفاق والاختلاف بين الجيلين ودلالاتها النفسية والاجتماعية، والاستفادة منها في وضع برامج الإرشاد لكبار السن وأبنائهم، وفي تحسين أساليب التعامل والرعاية، وزيادة فاعليتها في تنمية الصحة النفسية والجسمية لكبار السن، وتطوير أساليب حياتهم في الأسرة والمجتمع.

عيوب المنهج: يؤخذ على هذا المنهج أنه يستغرق وقتاً طويلاً في جمع المعلومات من الآباء والأبناء، ويتطلب الكثير من الوقت والجهد والمال لإعداد الأدوات وإجراء المقابلات، وتحليل النتائج وتفسيرها، واستخراج دلالاتها النفسية والاجتماعية.

خلاصة نتائج الدراسات:

من الدراسات على معاملة الأبناء لآبائهم بسؤال الأبناء أو سؤال الآباء، أو بسؤال الأبناء والآباء معاً في العديد من المجتمعات الإسلامية وغير الإسلامية، توصل الباحثون إلى بعض النتائج الهامة في رعاية كبار السن، نلخصها في الآتي:

١- حرص الأبناء على التواصل مع والديهم، ومساندتهما في السراء والضراء، وتشجيعهما على ممارسة أدوارهما الاجتماعية في الأسرة والمجتمع، وحمايتهما من الأذى المادي والمعنوي، من أهم عوامل تنمية الصحة الجسمية والنفسية للوالدين في مرحلة كبر السن.

٢- لا يجد الأبناء صعوبة في رعاية والديهم إذا كان الوالدان بصحة جيدة، ولهما أو لأحدهما راتب أو معاش ومدخرات تكفيهما، وتسد حاجاتهما المعيشية والعلاجية.

٣- سعادة كبير السن في صحته العامة، ووجوده مع الزوج أو الزوجة، واعتماده على نفسه، وشعوره بالحرية، واكتفائه المالي، وممارسته لأدواره الاجتماعية، ومودة أبنائه له، وزياراته لأصدقائه وجيرانه وأهله، واستمراره في العمل أو حصوله على عمل بديل، ومشاركته في الأنشطة الاجتماعية والثقافية والترويحية في الأسرة والمجتمع.

٤- يتواصل الآباء والأمهات الأرامل مع أبنائهم وأحفادهم أكثر من الآباء والأمهات المتزوجين. فالأب (أو الأم) الأرمل إما أن يعيش مع أسرة ابنه أو ابنته أو يعيش قريباً منها، وينفتح عليها أكثر من الأب (أو الأم) المتزوج الذي ينشغل بأمور أسرته الأصلية عن أسر الفروع. (Perlmutter & Hall,1985).

٥- يجد كثير من الأبناء صعوبة في رعاية والديهم بسبب قلة مرتباتهم، وانشغالهم بالعمل والأسرة والأبناء، أو بسبب عدم قدرتهم على التفاهم مع الوالدين، أو اعتلال صحة الوالدين بدرجة كبيرة، أو اضطرابهما العقلي المزمن.

٦- تقوم البنات بدور أكبر من الأولاد في رعاية الوالدين في مرحلة كبر السن، فالبنت غير المتزوجة تقضي وقتاً أطول من أخيها غير المتزوج مع والديها في الأسرة، ترعاهما وتساعدهما وتخدمهما، وتزور البنت المتزوجة والديها، وتتصل بهما هاتفياً، وتتابع أمورهما المعيشية أكثر من أخيها المتزوج.

٧- تواصل الأبناء مع والديهم ميسوري الحال أفضل من تواصلهم مع والديهم المحتاجين، ومع والديهم الأصحاء جسمياً ونفسياً أكبر من والديهم العاجزين أو المريضين أو المضطربين نفسياً وعقلياً.

٨- يفضل الوالدان الكبيران في السن مودة أبنائهما لهما أكثر من مساعدتهم المادية لهما. فالأب (أو الأم) يفرح بزيارة ابنه (أو ابنته) له أكثر

من فرحه بما يقدمه له من مال وهدايا، ويسعد بتواصله معه هاتفياً، وسؤاله عنه في الصحة والمرض. فمعظم الآباء لا يحتاجون من أبنائهم إلا المودة والمحبة والمساندة في السراء والضراء.

٩- يدرك كثير من الأبناء تقصيرهم في رعاية والديهم في مرحلة الكبر، ويشعرون بالذنب بسبب هذا التقصير، ويخافون من تقصير أبنائهم في رعايتهم عندما يصيرون إلى ما صار إليه والداهم من كبر في السن (Mares, 1995: 357)

١٠- تقوم الزوجة برعاية زوجها كبير السن أكثر مما يقوم الزوج برعاية زوجته كبيرة السن، لأن المرأة تتزوج عادة رجلاً يكبرها سناً، وتعيش أطول منه، ولا تتزوج بعد موته في مرحلة كبر السن.

مبحث دور الجد والجدة

الجد[1] هو أبو الأب أو الأم، والجدة هي أم الأب أو الأم، حيث يصبح الأب جداً والأم جدة عندما ينجب ابنهما أو ابنتهما، ويأتي الحفيد والحفيدة،

---

(١) تؤخذ الجد -بفتح الجيم- بمعنى العظمة ومنها قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا﴾ أي تعالى عظمة ربنا. وقول أنس -رضي الله عنه- "كان الرجل منا إذا قرأ سورة البقرة وسورة آل عمران جَدَّ فينا" أي عظم في أعيننا. كما يؤخذ الجد بمعنى الحظ والبخت والرزق والغنى منها ما جاء في دعاء الرسول عليه الصلاة والسلام «**لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد**» أي لا ينفع الغنى عندك يا الله غناه، وإنما ينفعه عمله الصالح.

أما الجد -بكسر الجيم- فتؤخذ بمعنى الاجتهاد في الأمر وهو ضد الهزل (مختار الصحاح ص٩٤).

وتتحول الأسرة النواة إلى أسرة ممتدة تقليدية أو معدلة [1]، تتكون من ثلاثة أجيال: جيل الجد والجدة، وجيل الأب والأم، وجيل الأبناء أو الأحفاد.

ومن الملاحظ أن عدد الأسر التي يعيش فيها الأجداد والآباء والأبناء أو الأحفاد آخذة في التزايد في المجتمعات الحديثة، بسبب زيادة عدد كبار السن، حيث تشير الدراسات إلى أن نسبة الأسر التي يعيش فيها الجد مع الابن والحفيد كانت في الولايات المتحدة الأمريكية حوالي ١٤٪ من الأسر في العقد الأول من القرن العشرين، من المتوقع أن تصل النسبة إلى ٤٨٪ في العقد الأول من القرن الواحد والعشرين.

ومع ارتباط ممارسة أدوار الجد والجدة بمرحلة كبر السن إلا أن كثيراً من الرجال والنساء يصبحون أجداداً وجدات في سن الخمسين أو قبلها. فمن تزوج في سن الخامسة والعشرين من عمره وبكر بالأنثى، فمن المتوقع أن يكون جداً أو جدة في الأربعينات من عمره. فالجد لم يعد بالضرورة كبيراً في السن (Perlmutter &Hall,1985).

وعادة يفرح الآباء والأمهات بإنجاب أبنائهم وبناتهم، فقدوم الحفيد والحفيدة أمنية غالية عند كل أب وأم "فَولْد الولْد أعز الولْد" كما يقولون في الأمثال. لذا تقلق أمهات كثيرات إذا تأخر أولادهن أو بناتهن في الزواج، ويطلبن من الله أن يحييهن حتى يرون أحفادهن، ويحملن ابن الابن أو الابنة. ومع هذا فإن الرضا بدور الجد أو الجدة يختلف من شخص إلى آخر، وفق سن كل منهما عند قدوم الحفيد أو الحفيدة. فالدراسات في الولايات المتحدة

---

(١) الأسرة الممتدة المعدلة Modified extended family هي أسرة تتكون من ثلاثة أجيال، يعيش الجدان معاً في الأسرة النواة الأصلية، ويعيش الأبناء مع أزواجهم أو زوجاتهم وأبنائهم في أسرهم الفرعية، مع تبادل الزيارات والمساعدات والاتصالات اليومية أو الأسبوعية، بحيث يحدث التواصل المباشر بين الأجداد والأحفاد.

الأمريكية تشير إلى أن الأجداد والجدات الذين في سن من ٤٠-٥٠ سنة غير راضين عن ممارسة هذا الدور، لأنهم مازالوا صغاراً في السن، وكذلك الأجداد والجدات في سن من ٨٠ سنة فأكثر غير راضين أيضاً، لأنهم ضعاف وغير قادرين على القيام بواجبات الجد نحو الأحفاد، أما الأجداد والجدات في سن من ٥٠-٨٠ سنة فكانوا راضين عن ممارسة دور الجد والجدة، وسعداء برعاية أحفادهم واللعب معهم (Perlmutter & Hall, 1985). وبشكل عام فإن رضا النساء عن دور الجدة أفضل من رضا الرجال عن دور الجد (Davidson & Moore,1992).

الجد (أو الجدة) الكبير Great grandparent:

الجد الكبير هو أبو الجد أو جد الأب Great grandfather والجدة الكبيرة هي أم الجدة أو جدة الأم Great grandmother وهما اللذان ينجب أحفادهما في حياتهما، وتتكون أسرتهما الممتدة التقليدية أو المعدلة من أربعة أجيال: جيل الجد والجدة الكبيرين، وجيل الجد والجدة، وجيل الحفيد والحفيدة Grandchild، وجيل ابن الحفيد أو الحفيدة Great grandchild.

وتشير الدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية إلى أن حوالي ٥٠٪ من الأجداد الذين في سن ٦٥ فأكثر أنجب أحفادهم، وأصبحوا أجداداً وجدات كباراً، وفرحوا بقدوم ابن الحفيد، مثلما فرحوا بالحفيد، ومع هذا فإن علاقة الجد الكبير بابن الحفيد ليست كعلاقته بالحفيد، بسبب عدم قدرة الجد أو الجدة الكبير على المشاركة في رعاية ابن الحفيد.

ففي إحدى الدراسات على ٥٠ جداً كبيراً من نيويورك ونيوجرسي الأمريكيتين، أشاروا إلى سعادتهم بمقدم ابن الحفيد، وامتداد فروعهم، لكن لم تعد عندهم الطاقة والصبر للعناية بابن الحفيد، أو الذهاب معه في رحلة أو حفلة أو إلى السوق، أو مصاحبته في أنشطة ترويحية أو اللعب معه (Mares,1995).

حقوق الجد والجدة:

دور الجد أو الجدة أحد الأدوار الاجتماعية Social role في الأسرة الممتدة التقليدية أو الممتدة المعدلة، ترتبط به واجبات على الجد والجدة نحو أحفادهما وإن نزلوا[١]، وحقوق الأحفاد نحو الأجداد والجدات وإن علوا[٢]. وحقوق الجد والجدة هي واجبات على أحفادهما، وهي الواجبات نفسها التي على الأبناء لوالديهم في الطاعة والاحترام والرعاية والإنفاق عليهما إن كانا فقيرين، وخدمتهما إن كانا عاجزين.

وأوجبت المادة (٢٠١) من قانون الأحوال الشخصية الكويتي "على الولد الموسر ذكراً أو أنثى نفقة والديه وأجداده[٣] وجداته[٤] الفقراء، وإن خالفوه في الدين، حتى ولو كانوا قادرين على الكسب. وإذا تعدد الأولاد تكون النفقة عليهم بحسب يسرهم" (ص٦٢). وجاء في المذكرة التفسيرية "إذا كان الأصل فقيرا سواء كان أباً أو أماً أو جداً أو جدة من جهة الأب أو من جهة الأم وله ولد موسر ذكراً أو أنثى تجب نفقته عليه من مأكل ومشرب وملبس وسكنى وعلاج، ويدخل في هذه نفقة الخادم إن احتيج إليه، بأن

---

(١) الأحفاد وإن نزلوا أي ابن الحفيد وابن ابن الحفيد وهكذا.

(٢) الأجداد وإن علوا أي جد الأب وجد الجد وهكذا.

(٣) الأجداد نوعان: جد صحيح وهو جد الأب، وهو كالأب في الواجبات والحقوق، وجد غير صحيح وهو الجد للأم وعليه واجبات الجد الصحيح وله حقوقه عدا الإنفاق على الحفيد والميراث.

(٤) الجدات نوعان: جدة ثابتة، وهي الجدة للأب وهي جدة صحيحة، وجدة غير ثابتة وهي الجدة للأم، وهي جدة غير صحيحة عليها واجبات الأم ولها حقوقها. لمزيد من المعلومات عن الأجداد والجدات يرجع إلى الموسوعة الفقهية الصادرة عن وزارة الأوقاف بالكويت الجزء (١٥) ص ص١١٣-١٢٣.

يكون الأصل مريضاً أو شيخاً كبيراً أو ما شابه ذلك، ويدخل فيها أيضاً النفقة على زوجة الأب غير الأم.

وتجب النفقة على الفرع ما دام الأصل في حاجة إلى هذه النفقة، ولا يشترط أن يكون الأصل عاجزاً عن الكسب، لأن الإسلام جعل مال الولد لأبيه حيث قال ﷺ للابن «**أنت ومالك لأبيك**» (رواه ابن ماجه). وقال أيضا لمن سأله عليه الصلاة والسلام عن أحق الناس بالبر قال: «**أمك**» قال ثم من؟ قال «**أمك**» قال ثم من؟ قال «**أمك**» قال ثم من؟ قال «**أبوك ثم الأقرب فالأقرب حقاً واجباً ورحماً موصولاً**» (رواه أبو داود).

واجبات الجد والجدة:

واجبات الجد نحو أحفاده هي الواجبات نفسها التي على الأب نحو أبنائه في الرعاية والحماية والتوجيه والإنفاق، لاسيما الجد للأب فهو كالأب عند عدم الأب في الولاية على النفس والمال بالنسبة للحفيد. وواجبات الجدة نحو أحفادها هي الواجبات نفسها التي على الأم نحو أبنائها في الرعاية والحماية والتوجيه والحضانة، وتقدم الجدة للأم على الجدة للأب في الحضانة عند عدم الأم (الموسوعة الفقهية ص١٢٢).

وكان الأجداد والجدات يقومون بواجباتهم نحو أحفادهم في الماضي وكانوا فاعلين في تأثيرهم في الرعاية والتوجيه، حتى منتصف القرن العشرين حيث ضعف هذا الدور في تنشئة الأحفاد بعد ذلك، وغدا كثير من الأجداد والجدات لا يتفاعلون كثيراً مع أحفادهم، ولا يتدخلون بشكل مباشر في أسر أبنائهم، بعد انحسار مفهوم الأسرة الممتدة التقليدية، وانتشار الأسرة النواة، وضعف التواصل والزيارات بين الأسر الأصلية أو أسر التوجيه، التي يعيش فيها الأجداد وأسر الفروع أو أسر الإنجاب التي يعيش فيها الآباء مع الأبناء أو الأحفاد (Fitzpark, 1995)

أنماط ممارسة دور الجد والجدة:

ويصنف الأجداد والجدات وفق قيامهم بواجباتهم نحو الأحفاد في المجتمعات الحديثة إلى خمسة أنماط (Mares, 1995:360) نوضحها في الآتي:

١- الجد البديل للوالدين Surrogate grandparent style: حيث يقوم الجد بدور الأب، والجدة بدور الأم في رعاية الأحفاد، لاسيما عند عدم الأب أو الأم أو عند غياب الأم في العمل، حيث تقوم الجدة بمسئولية رعاية الحفيد والعناية به لمدة طويلة.

٢- الجد الرسمي أو الحازم Formal grandparent style: حيث يتسلط الجد على الأحفاد ويربيهم بالطريقة التي يريدها، ويفرض أسلوبه في التربية على أحفاده، وينتقد أسلوب أبنائه في التنشئة الاجتماعية، وإدارتهم لأسرهم، ويتدخل في علاقاتهم الزوجية. وقد يؤدي تدخله وتسلطه إلى خلافات أسرية، وإلى اختلال الروابط بين أسر الأصول والفروع[1] بسبب خلافاته مع أبنائه حول تربية الأحفاد.

٣- الجد المرح Fun-seeking grandparent style: حيث يحرص الجد أو الجدة على اللعب مع الأحفاد، وإدخال السرور عليهم. فهو جد هين لين معهم، لا يفرض عليهم نظاماً، ولا يمارس عليهم سلطاناً، بل يسعى إلى إسعادهم، وتلبية حاجاتهم أكثر من تعليمهم النظام أو إكسابهم الخبرات، فيقدم لهم الهدايا التي يحبونها ، ويلعب معهم كصديق، ويجعل علاقته بهم بسيطة غير رسمية، ويركز على تحقيق مطالبهم وإشباع رغباتهم وإرضائهم.

٤- الجد الحكيم العاقل Family wisdom grandparent: حيث يكون الجد مصدر الحكمة والتعقل في الأسرة، يملك السلطة في توجيه أبنائه

---

(١) أسرة الأصل هي أسرة الجد والجدة، وتسمى بيت العائلة أو أسرة التوجيه، أما أسرة الفرع فهي أسرة الابن أو الابنة، وتسمى أسرة الإنجاب ويعيش فيها الأحفاد.

في إدارة أسرهم وتربية أبنائهم، وفي تنمية العلاقة بين الأسرة الأصلية والأسر الفرعية. فالجد هو منبع الحكمة، وملاذ الأبناء والأحفاد في مواجهة الأزمات، وتصبح رئاسة الجد بإرادة الأبناء والأحفاد، الذين يثقون في حكمته ويطلبون مشورته.

٥- **الجد المتباعد Distant grandparent style:** حيث يحب الجد والجدة أحفادهما من بعيد، ولا يتواصلان معهم إلا في المناسبات، وبعدها لا شأن لهما بهم. فالجد من هذا النمط لا يتدخل في شئون أسرة ابنه أو ابنته لا من قريب أو بعيد، وينأى بنفسه عن مشكلاتها وخلافاتها، ويجعل علاقته بأحفاده رسمية وفي حدود ضيقة، فلا يشجعهم على الحديث معه أو زيارته أو اللعب معه أو الضحك معه.

وتشير الدراسات إلى أن نمط الجد المتباعد والجد المرح هما النمطان السائدان في المجتمع الأمريكي، حيث يقتصر دور الجد والجدة على مداعبة الأحفاد وإعطاء مصروف وتقديم الهدايا، ومشاهدة التلفزيون معهم، أما التدريس للحفيد أو الحفيدة وعمل الواجبات وإكساب الخبرات والمهارات والإعداد للمسابقات، فقليل من الأجداد هم الذين يشاركون فيها (Mares,1997).

ويبدو أن تناقص دور الجد والجدة في الأسر الحديثة ظاهرة اجتماعية في مجتمعات عديدة إسلامية وغير إسلامية، فمن دراسة على كبار السن في الكويت ومصر تبين تناقص دور الجد والجدة في مصر أكثر منه في الكويت، ولكن لا تزال الجدة تقوم بدور فاعل في رعاية الحفيد الرضيع وتقوم بالأعمال المنزلية وإعداد الطعام والتسوق في أسرة الابن أو الابنة، لاسيما إذا كانت الابنة تعمل خارج البيت، وتستعين بأمها في رعاية رضيعها وإدارة شئون منزلها.

تلخيص

تقوم رعاية كبار السن على عدة مبادئ تربوية وأسس نفسية منها: أن الرعاية حق لكبير السن، وواجب على الأبناء والأهل والمجتمع، ويجب تقديمها له وهو يعيش في أسرته، ووفق حاجاته الجسمية والنفسية والاجتماعية والروحية، وتشجيعه على ممارسة العمل والأدوار الاجتماعية التي يقدر عليها. ورعاية كبير السن في المجتمعات الإسلامية عبادة لله سبحانه وتعالى.

ويستخدم في دراسة رعاية كبار السن ثلاثة مناهج رئيسة هي: سؤال الأبناء عن معاملتهم للآباء، وسؤال الآباء عن معاملة أبنائهم لهم، وسؤال الأبناء والآباء عن الرعاية.

والجد هو أبو الأب أو الأم، والجدة هي أم الأب أو الأم، أما الجد الكبير فهو جد الأب أو الأم، والجدة الكبيرة هي جدة الأب أو الأم. والحفيد هو ابن الابن أو ابن الحفيد.

وحقوق الجد والجدة هي واجبات على الأحفاد، وهي نفسها واجبات الأبناء في الطاعة والاحترام والرعاية والإنفاق، وخدمتهما في العجز. أما حقوق الأحفاد فهي واجبات على الجد والجدة، وهي نفسها واجبات الأب والأم في الرعاية والحماية والتوجيه والإنفاق.

ويصنف الأجداد وفق ممارستهم لدور الجد والجدة في الأسرة إلى: الجد البديل للوالدين، والجد الرسمي أو الحازم، والجد المرح، والجد المتباعد، والجد الحكيم.